أمثولات العنصرية اليهودية وتجلياتها في الأدب العبري الحديث

م. د. موفق كامل خلف المحمدي
كلية الآداب/ جامعة الانبار

أهمية الدراسة:

١- لكي نفيد، ويفيد الدارسين، بهكذا دراسات من كشف بواطن اليهود، ومعرفة حقيقة نظرتهم المتدنية الى باقي الأمم الشعوب، ونظرة الاستعلاء التي ينظرون بها إليهم.

٢- معرفة مكنونات، ودواخل الأخر (اليهودي) من خلال نظرة العنصرية والاستعلاء للعربي، وكيف قد انعكست تلك النظرة في نتاجات الأدباء اليهود، والتي تعكس حقيقة المجتمع الإسرائيلي تجاه العرب وشعوب العالم الأخرى.

٣- البرهنةُ على أنّ الأدب العبري أحد أهم الوسائل، التي استخدمتها الصهيونية في تنفيذ مشروعها، والبوق الذي نفخت من خلاله، وسوّقت أفكارها بين اليهود ضد العرب.

٤- تلمس، واقتفاء دوافع الروح العدوانية لليهود، والتي صاغها الفكر الديني اليهودي في إطار العنصرية، ومعرفة كيف يصف اليهود أنفسهم بنقاء العرق والدم، وكيف يعتقدون بأفضليتهم على سائر الأمم والشعوب، بدعوى العهد الذي قطعه الله لهم (كذباً وزوراً).

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في محاولة إثبات أن الصهيونية تهدف دوماً إلى الحط من قيمة الأمم والشعوب، والعربي الإنسان بصورة خاصة، والتقليل من قيمتها، ووصفها بصفات لا تليق بالإنسانية؛ بغية تسويق مشروعها بين اليهود في أنّهم يمثلون عرق نقي، وجاءوا من مصدر واحد، على عكس باقي الأجناس، التي اختلطت فيما بينها، وضاع جنسها بين الأمم والشعوب.

منهج الدراسة: ستقوم الدراسةُ على منهج التحليل النقدي، الذي يعتمد معايير نقد الأدب، من خلال الأسلوب النقدي في التحليل، وفقًا لما اتفق عليه الخطاب النقدي الحديث.

حدود الدراسة: تتحدد الدراسة في نتاجات عدد من أدباء الأدب العبري الحديث، وعدد من المنظرين اليهود، التي تتوافق مع مجال الدراسة، ومحاولة مناقشتها وفق "التفسير الأدبي للنص" "לפרשנות הספרותית של הטקסט". فتكون منطقة الدراسة هي الأرض العربية في فلسطين.

أمثولات العنصرية اليهودية وتجلياتها في الأدب العبري الحديث(١).

المقدمة: الحمد للهِ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ.. وبعد...

يُعد الأدب العبري أدب دعائي، ومكرس لخدمة الأهداف السياسية للصهيونية؛ لذا فهو يفتقر إلى الشروط الفنية، التي يجب توفرها في الأعمال الأدبية، وهو أدب عنصري يفتقر إلى الشرط الإنساني، والإبداع الفني، وينضح، كما هو حال الفكر اليهودي، بالكثير من المفاهيم العنصرية من نقاء العرق، والدم، والتفوق الحضاري، والشعب المختار، التي يتعالى اليهود بها على سائر البشر. وبما إنّ الأدب أساس الكشف عن مكنونات الشعوب وتوجهاتها؛ فقد كان ذلك هو الدافع لهذه الدراسة؛ للكشف عن نوازع اليهود، وبواطن نفسياتهم، ونظرتهم المتدنية الى الشعوب، وانعكاساتها في نتاجاتهم الأدبية؛ لذا لا بد من تعريف العنصرية، وهي: "كل مجموعة بشرية تتسم طبيعياً بكونها ذات سمات أسمى، وأرقى من غيرها من بني البشر، وعادةً ما تتعلق هذه الصفات بالتكوين الجسمي، والتقدم الحضاري والثقافي، والتطور التكنولوجي، والتمدن، وغيرها، مما يميز هذه

الجماعة عن غيرها من البشر، ومن أبرز مذاهب العنصرية، الأيديولوجية النازية في ألمانيا، التي اندثرت، وصارت صفةً للقذف والتشهير؛ بسبب الأهوال التي ارتكبتها النازية الهتلرية، والعنصرية الصهيونية محل البحث[٢]. وعموماً، فمن المنطق أن يشعر الإنسان بالتفوق؛ فالشعور بالفخر أمر مشروع وطبيعي، أما الشعور بالتفوق الذي يدفع إلى احتقار البشر، والنظر إليهم نظرة عرقية متدنية؛ فهذا ما يوضح الفرق بين الشعور بالفخر القومي، الذي هو عاطفة من الترابط، والتعاون المثمر، والتواصي بالفضيلة؛ وبين النعرة العنصرية التي هي الإنطواء وراء عرق من النسب يتخيل الإنسان أنّه ينتمي إليه؛ فيدفعه الى إظهار الحقد والإحتقار الى باقي أجناس البشر[٣]، وهو الذي يُسيطر على الأدب العبري، وقد أخذ هتلر عنهم ذلك، أي أن هتلر تلميذ العنصرية الصهيونية!. ويحفل الأدب العبري بالكثير من النتاجات التي تنضح بالعنصرية، ففي قصة "על האדמה הרעה הזאת" "على هذه الأرض السيئة"، لـ "עמוס עוז[٤]" عاموس عوز، التي نشرها ضمن مجموعته القصصية "ארצות התן" "أراضي ابن آوى"، تلك النظرة والحقد، الذي يكنّه اليهود تجاه شعوب العالم: "בחנוכה כל ילדי ישראל לומדים בכיתה לכעוס על היונים הרשעים، בפורים על הפרסים، בפסח את מצרים، אחד במאי הוא יום ההפגנות נגד אנגליה، בתשעה באב צמים נגד בבל ורומא[٥]" "في الحانوكا يتعلم أولاد إسرائيل الحنق، والحقد على اليونانيين الظالمين، وفي البوريم على الفرس، وفي الفصح يكرهون المصريين، وكما في الأول من مايو هو يوم التظاهرات ضد الإنكليز، وفي التاسع من آب نصوم ضد بابل وروما".

وتجدر الإشارة الى أنّ اليهود أرادوا التأكيد على تميزهم، وصلابتهم بوجه الأزمات، التي تعرضوا لها عبر التاريخ، فكان من الطبيعي أن يأخذهم الزهو، والإحساس بالسمو؛ فظهرت عندهم تعبيرات لغوية، وألفاظ يطلقونها على أنفسهم لزيادة التلاحم والترابط فيما بينهم، مثل أبناء الله، وحلفاء الله، وأحباب الله (حاشا لله)[٦]. ومن تلك الأزمات ما تعرض له اليهود في أوروبا من أحداث جعلتهم يرفضون الفكر التنويري؛ ذلك إنّ أثره كان سيئاً عليهم؛ فرفعوا شعار "المسألة اليهودية"، التي يجب البحث عن حل لها عبر الهجرة الى فلسطين، وإعادة أمجاد اليهود فيها، وقد تزامنت تلك الآراء مع بروز التيار الرومانسي، و"الفكر القومي" في الأدب العبري، الذي مهد الطريق لليهود، وحثهم على الهجرة الى فلسطين[٧]. وقد كان عام ١٨٨٢م بداية لتلك الأحداث؛ فمع صدور "قوانين مايو[٨]"، التي فرضت على اليهود مزيداً من القيود في روسيا؛ ظهرت حركة "بيلو" "בילו[٩]" "בית יעקב לכו ונלכה" "يا بيت يعقوب اذهبوا ونذهب معكم" (سفر أشعيا)، وحركة "أحباء صهيون" "חבת ציון[١٠]"، التي كانت من أولى الأصوات الداعية للهجرة الى فلسطين؛ وخلاص اليهود من الاضطهاد والشتات[١١] الذي كانوا يعانونه. ولا بد من التذكير بأن المجتمع الإسرائيلي يتسم بعدم التجانس حتى في إطار المجموعة الطائفية الواحدة، ويرجع ذلك لأسباب أهمها اختلاف أصول، وثقافات، ولغات المهاجرين؛ رغم محاولات الحكومة صهر هذه الثقافات في إطار التركيبة الإسرائيلية؛ إذ ما تزال مشكلة التمييز بين اليهود الشرقيين "السفارديم[١٢]"، واليهود الغربيين "الأشكنازيم[١٣]" قائمة، وتحول دون حدوث التجانس داخل المجتمع، هذا بالإضافة إلى عدم تجانس اليهود الأوروبيين أنفسهم؛ بسبب تأثرهم بالبلاد التي جاءوا منها سواء أكانت غربية، أم شرقية، وهو ما أكده "شلومو بن عمي"، عضو الكنيست، والأستاذ بجامعة تل أبيب بقوله: "إنّ هذا المجتمع الذي أنشأه الآباء المؤسسيين من الصهاينة على أن يكون بوتقة صهر تمتزج فيه مختلف الثقافات واللغات، أصبح مجتمع متعدد الأعراق، والثقافات، والطوائف، ولقد تغيرت الصورة الأسطورية المأمولة؛ لتحل محلها صوراً متعددة لكل منها شرعيتها بين اليهودي، والعربي، والمتشددين دينياً "الحريديم"، والقوميين الدينين "جوش أيمونيم"، والتقليديين، والعلمانيين ممن ينحدرون من أُصول عرقية مختلفة من السفارديم، والإشكنازيم، والمهاجرين الروس، والأثيوبيين وغيرهم، أدى ذلك الى تفتت الشخصية الإسرائيلية وتشرذم اليهود بين ثقافات، وطوائف، ولهجات مختلفة، أدّت الى حدوث صراعات عنيفة داخل المجتمع الإسرائيلي "[١٤]. وهو ما أكده أهارون ميجيد "אהרון מיגד"[١٥]، على لسان أحد أبطال قصصه بأنه "خليط متنافر من الناس، ولغات، وعادات، وألوان، وأشكال مختلفة، وإنّ كل بيت يشكل بمفرده أمةً مختلفةً في عاداتها وأسمائها"[١٦]. الأمر الذي انعكس

على الشخصية الإسرائيلية، التي صارت شخصية معقدة؛ كونها جمعت صفات مستمدة من مصادر مختلفة، فهناك صفات مكتسبة من العقيدة اليهودية، وأخرى من الحضارة الغربية، وصفات تطورت خلال المرحلة الإسرائيلية، ولا يمثل كل منها وحدة واحدة، فالعقيدة اليهودية ليست واحدة؛ وإنّما عدة فرق، لذلك يمكن القول إنّ الشخصية الإسرائيلية: شخصية يهودية، عنصرية، استعلائية، عدوانية، علمانية، ومتطرفة في تدينها، إذا لم تكن علمانية، ويغلُب عليها الغرور، والشعور بالتميز، والتفوق، وغير سوية، ومعقدة؛ لأسباب تعود إلى طبيعة الديانة، وأحداث التاريخ اليهودي[١٧]. وقد أدى احتكاك اليهود بالحضارة الغربية إلى التأكيد على تميزهم العرقي في شكله الحضاري؛ فاكتسب اليهودي الصفات الحضارية للرجل الأبيض، واجتمعت فيه صفات عنصرية كالتميز، والاستعلاء، وصفات غير دينية أدّت إلى تناقض الشخصية اليهودية؛ فانقلبت من شخصية دينية إلى شخصية علمانية عنصرية؛ بتأثير الثقافة ألّلا دينية للغرب[١٨]. وقد عبر ناحوم جولدمان عن ذلك بقوله: "إنّ اليهود لم يكونوا أبداً مثل سائر الشعوب، كانوا دائماً شيئاً مميزاً أكبر من مجرد شعب، وأكبر من مجرد دين، وأكبر من مجرد حضارة، إنّهم كل هؤلاء مجتمعة، ولا توجد هناك جماعة تماثلهم، فتاريخهم مميز وخاص"[١٩]. وهكذا تبنى الفكر الصهيوني، ومن بعده الأدب العبري، مفاهيم وصفات عنصرية أخذ بعضها من التراث الديني اليهودي، وأخرى من النظريات والأفكار، التي سادت أوروبا في نهايات القرن الثامن عشر، والتاسع عشر. لذلك سوف تُقسم الدراسة على النحو التالي:

أولاً: العرق، والجنس الخالص، والتفوق الحضاري لليهود على الأمم الأخرى: ويتمض تناول الأدباء، والكتاب، والمنظرين اليهود لهذه الصفات، وكيف خلعوها على اليهود، وتفردوا بها من بين سائر الأمم والشعوب.

ثانياً: مقولة الشعب المختار: ويتناول استخدم اليهود هذا الشعار، وخلعه عليهم لتميزهم، وتفردهم عن باقي الشعوب بصفات، ومميزات يزعمون أنها لهم دون سائر البشر.

ثالثاً: أمثولات العنصرية اليهودية في الأدب العبري الحديث: ويتضمن مجموعة من نتاجات الأدباء، والشعراء اليهود، التي ضمنوها مفاهيم العنصرية اليهودية، وصفات التميز، التي يصف بها اليهود أنفسهم، ويتميزون بها عن باقي الأمم والشعوب.

ثم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وقائمة المراجع والمصادر.

وختاماً نسأل الله أن يجعل هذا العمل ثمرة لنا، ولكل الدارسين، والمتخصصين في الشأن اليهودي، والأدب العبري إنه نعم العون ونعم النصير.

أولاً/ العرق[٢٠]، والجنس الخالص، والتفوق الحضاري لليهود على الأمم الأخرى.

تشكل النزعة العنصرية أحد المكونات الأساسية للإيديولوجية الصهيونية، لذلك صار مبدأ محاربة اندماج اليهود في المجتمعات الأخرى صلب عمل الحركة الصهيونية، التي روجت لكل ما من شأنه عزل اليهود عن الآخرين، واتخذت من مقولة "شعب الله المختار" أساساً أيديولوجياً لها، باعتبارها من المفاهيم الرئيسة في الديانة اليهودية، والتي شكّلت أداة لربط اليهود ببعضهم، وتحديد علاقتهم بالآخرين، إضافة إلى إبراز "مسالة اضطهاد اليهود"، أو "مُعاداة السامية"، بحيث جعلت اليهود الجنس السامي الوحيد من بين الأمم السامية؛ لذلك فإنّ من أهم القضايا التي سعى الأدب العبري الى ترسيخها في وجدان اليهود هي قضية ترسيخ التميز، وتفوق العقلية اليهودية، انطلاقاً من مقولات العهد القديم "أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من كل الشعوب، وتكونون لي قديسين، لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي" (اللأويين:٤٠: ٢٤-٢٦)، والتراث الديني اليهودي، وكتاب التلمود[٢١]، الذي نجح في ضرب العزلة الوجدانية، والروحية، والعقلية على اليهود.

ويروي "فيكتور مالكا" في كتابه "مناحيم بيجن: التوراة والبندقية"، "أنّ اليهود استقوا من توراتهم تعليمات في أعمال العنف، واستخدام القوة؛ إذ جُمعت قوانين الحرب في سفر التثنية، الذي يحدد لهم أساليب الإستيلاء على المدن، والتعامل

مع أهلها، والتي يعدها القادة الإسرائيليون مصدرًا للوحي، وشريعة مقدسة لإستئناف البعث اليهودي في فلسطين، على أساس أن كل جريمة تصبح شرعية، وقانونية من أجل تحقيق وعد الرب"!"[٢٢]. لذلك نجد أنّ الوسيلة التي يتم فيها نقل أفكار التميز والعنصرية الى الشباب اليهود هي مناهج التعليم، وهو ما أكّدته الدكتورة "تسيبورا شاروني" في حديثها عن التوجه القومي في برامج التدريس في المدارس العبرية، ضمن محاضرة في الكلية الأرثوذكسية بمدينة حيفا سنة ١٩٨٨م بقولها: "إنّ كل الجنود الذين يؤدون الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة، وأولئك الشباب، الذين يسكنون أور يهودا، حيث عمليات إحراق العمال العرب، كل ذلك نتاج مدرستنا!، والبرامج التعليمية، والتربية الرسمية، وغير الرسمية، إذ لم ترد كلمة واحدة في البرنامج التعليمي لليهود حول التطلع للسلام بين إسرائيل وجاراتها من الدول العربية، فمثلاً من منا يذكر كتاباً واحداً في الجغرافية فيه اسم جبل باللغة العربية؟، والجواب هو لا؛ فالطلاب يتعلمون ذلك وكأنّه خُلق هكذا، لا وجود للأسماء العربية إطلاقاً، وأنا لا أتكلم عن قرى عربية تم محوها؛ بل لا وجود لها أصلاً"[٢٣]. وهذا يعني أنّه لا وجود للخط الأخضر، ولا القرى والمدن العربية المدمرة، ولا مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين، وما يؤكد هذا مداخلة النائب الإسرائيلي "مائير فلنر" خلال مناقشات الكنيست عام ١٩٧٥م بقوله: "إنّ التربية الصهيونية في إسرائيل تسعى إلى ترسيخ مشاعر التعالي القومي، والعنصرية، ومعاداة العرب، والروح العسكرية المتطرفة، وإنكار حقوق الآخرين... إن كل سياسة الحكومة الإسرائيلية غير إنسانية بما في ذلك سياستها تجاه تربية أولادنا"[٢٤]. وتؤكده المحامية الإسرائيلية "فيليتسيا لانجر"، التي فضحت واقع الصهيونية، في كلمتها الموجهة للشباب اليهودي، بقولها: "لقد علموك منذ كنت صغيراً فن الحرب، وزرعوا فيك مشاعر التفوق القومي، والتعصب العنصري، وأرادوا لك أن تحقد بكل ما أوتيت من قوة على العرب، ولكي لا ترتجف يدك عندما تضغط على الزناد... وبدأ ذلك بتنمية مشاعر التفوق القومي، والتميز العنصري فيك مع رصيد لك في ماضيك من إهانة لقيم الشعب الآخر.. عبر عبارة "نحن فقط وسوانا صفر"[٢٥]. وهذا يعني أنّ فلسطين كلها لليهود وحدهم، وما سواهم لا وجود له اطلاقاً.

ويزخر الأدب العبري بالكثير من النتاجات، التي تؤكّد على الجنس اليهودي الخالص، حيث يطالعنا "נפתלי הירץ אימבר"[٢٦] نفتالي هيرتس أيمبر بقصيدة "התקוה" "الأمل" (النشيد الوطني لإسرائيل)، والتي يزعم فيها بأن اليهود متحدرون جيلاً بعد جيل من مصدر واحد، وأنّهم من نسل الآباء إبراهيم، واسحق، ويعقوب (عليهم السلام، وحاشاهم)، يقول فيها:

עוד לא אבדה תקותנו	**لم نفقد أملنا بعد**
התקוה הנושנה،	**الأمل القديم**
לשוב לארץ אבותנו،	**بأن نرجع الى أرض آبائنا**
לעיר בה דוד חנה،	**الى المدينة التي عسكر بها داود (القدس)**
....	
שמעו אחי בארצות נודי	**أسمعوا أخوتي في بلاد الغربة**
את קול אחד חוזינו	**صوت أحد أنبيائنا**
כי רק עם אחרון היהודי	**بأنه فقط عند آخر يهودي**
גם אחרית תקותנו[٢٧].	**ينتهي أملنا.**

يوجه الشاعر رسالة لإخوته اليهود المشردين في بقاع العالم "שמעו אחי בארצות נודי" أسمعوا أخوتي في بلاد الغربة، ويقتبس فقرة من العهد القديم "ויָקם דויד המלך על- רגליו ויֹמר שמעוני אחי ועמי: אני עם-לבבי לבנות בית מנוחה לארון ברית-יהוה" "وقف داوود على قدميه وقال: اسمعوني يا إخوتي، كنت أنوي من أعماق قلبي أن أبني بيت قرار لتابوت عهد الرب"(أرميا، الاصحاح ٤:١)، يؤكد من خلالها بأن لليهود أمل قديم بالعودة الى أرض آبائهم "לשוב לארץ אבותנו" (إبراهيم واسحق ويعقوب) كما يزعم، ويقصد بـ "את קול אחד חוזינו" "صوت أحد أنبيائنا" هو أرميا، الذي ورد فيه "לתת לכם אחרית ותקוה" "لأعطيكم الآخرة والأمل" (أرميا، الاصحاح ١٤: ١٩)، بالعودة إليها "כי רק עם אחרון היהודי" ولا

ينتهي أملهم إلا عند آخر يهودي يحيا على هذه الأرض "גם אחרית תקותנו" فهناك فقط ينتهي أملهم. إنّ خطاب الأخوة الذي ينادي ايمبر اليهود به نجد له مثيلاً في مقولة بيرتس سمولنسكين: "إنّ كل يهودي يكون منتمياً الى الشعب اليهودي ما دام لا يخونه، وبغض النظر عن كل خطاياه، هذا هو المبدأ، الذي يجب أن نتمسك به، وهو النتيجة الحتمية، التي ينبغي أن نستمدها من كوننا شعب، وأننا نكوّن أمةً، ومجتمعاً موحداً وخاصاً، وإنّ القوانين ليست هي مصدر حبنا لهذا الشعب؛ وإنما إحساسنا العميق بالانتماء له"[٢٨]. ، وهو ما يؤكده "אחד העם[٢٩]" أحد هاعام في مقالته "בשר ורוח" "جسد ورح" على نقاء الجنس اليهـــودي بقولـــه: "וכה נעשה כלל ישראל ממלכת כהנים וגוי קדוש، גוי שהוקדש מראשית מציאותו להיות למופת בתורתו לכל המין האנושי"[٣٠]. "وهكذا أصبح مجتمع إسرائيل مملكة من الكهنة، وأمة مقدسة، كُرست مُنذ نشأتها لتكون مثالاً للجنس الإنساني".

وكما يؤكد "יצחק בן ניר" اسحاق بن نير على دعوى العنصرية، ونقاء الجنس اليهودي في قصة "ברגר" "بيرجر"، التي نُشرت ضمن مجموعته القصصية "אחרי הגשם" "بعد المطر"، على لسان البطل قوله: "היכן התחושה הברורה שהיתה לי، כמו לכל אחד החי בידיעת כוחותיו، שיחיד אני ושונה אני، ונבחר אני מאחרים בעיני האלוהים، ושהאלוהים לא יעזבני"؟[٣١]. "أين كان إحساسي الواضح، وكما هو الحال لأي شخص يعرف امكاناته، حيث إنني متفرد، ومختلف، ومتميز أنا عن الآخرين أمام الرب، والرب لن يتخلى عني"؟!. ويقول أيضاً في نفس المجموعة "אחרי הגשם" "بعد المطر": "הרי עם נבחר קרא לנו האל، ובשבל כך שנאונו את הגויים"[٣٢]. "نحن شعب مختار كما أسمانا الرب، وبسبب ذلك كرهنا الجوييم". ويؤكد تيودور هرتسل "إنّ أصل اليهود يختلف عن سائر أصول البشر، وإنّهم يشكلون شعباً واحداً، وجنساً متميزاً فوق الأجناس الأخرى... لذلك عليهم أن يتمسكوا بهذه الفوارق، التي تميزهم عن الآخرين، من أجل الحفاظ على عنصرهم"[٣٣]. ويقول "אחד העם" أحد هاعام: "إنّ اليهودي هو غاية في حد ذاته، وإنّ العالم خُلق من أجله". ويقول "ناحوم سوكولوف": إنّ جنس الأمة اليهودية هو أفضل الأجناس البشرية الأخرى"[٣٤].

وقد سار "ש. שלום"[٣٥] ش.شالوم على نفس المنوال، الذي سائر عليه المفكرين والأدباء اليهود حيث يقول في قصيدته "עולם בלהבות" "عالم في اللهب":

ימים עוד רבים יעברו، שנים، ויובלות תמימים.
أيام كثيرة تمضي، وسنوات، ويوابيل كاملة (اليوبيل الفضي ٢٥ سنة، واليوبيل الذهبي ٥٠ سنة).
עד ישוב האדם، וקרא בספר، והביט בתמונה،
حتى يعود الانسان، ويقرأ في كتاب، وينظر في صورة
וחשב מחשבות להשכיל، והקשיב ללבו של עולם
ويفكر أفكاراً تنويرية، ويصغي لقلب العالم
כי היה ישראל האחד ששכן בתוכם וידע(٣٦).
بأن إسرائيل الوحيد، الذي أقام بينهم، وهو فقط يعلم.

يؤكد شالوم على خاصية تفوق الجنس اليهودي، وتميزه عن باقي الأمم والشعوب بالعلم والمعرفة، والتقدم الحضاري "כי היה ישראל האחד ששכן בתוכם וידע" وبأن إسرائيل الوحيد، الذي أقام بينهم، وهو فقط من يعلم، وأما الباقي فمصيرهم الجهل، والتخلف، وسيبقون على هذا الحال سنيناً طويلةً؛ حتى "עד ישוב האדם، וקרא בספר، והביט בתמונה" يتعلمون القراءة في كتاب، والتأمل في صورة كما يزعم.

ويطالعنا ناتان الترمان بقصيدته "נא להסביר מהתחלה" "من فضلك اشرح لي من البداية"، التي نشرها ضمن قصائد "הטור השבעי" "العمود السابع" يقول فيها:

זה ברור:יהדות היא אומה, לא רק דת، هذا واضح: اليهودية أمة، وليست دين فقط،
וכאומה – ראויה היא לארץ מקלט وكأمة– جديرةٌ هي بأن يكون لها أرض
היהודים הם לאם הפזור- אסונם واليهود أمة، والشتات نكبتهم
ינתן להם מה שמגיע לעם ويستحقون ما يستحقه كل شعب
טריטוריה، שלטון، נציגות לאומית أرض، سلطة، وتمثيل قومي....
כך הובן הדבר، ואחת לתמיד(٣٧). هكذا يفهم الأمر، وللأبد.

يؤكد الترمان على إنّ اليهود أمة وعرق، وليس مجرد تعاليم، وطائفة دينية "זה ברור יהדות היא אומה، לא רק דת"، ويزعم أنّ من حق اليهود أن تكون لهم أرض ووطن مثل باقي الشعوب "וכאומה– ראויה היא לארץ מקלט"، وإنّ الشتات يمثل نكبتهم، وضياعهم "היהודים הם לאם הפזור- אסונם"، ولا خلاص لهم منه إلا بالعودة الى فلسطين، فهم يستحقون ما تستحقه الشعوب "ינתן להם מה שמגיע לעם"، ومن حقهم أن تكون لهم أرض يمارسون عليها سلطتهم "טריטוריה، שלטון، נציגות לאומית"، وأن يكون لهم تمثيل قومي مثل الشعوب.

ولا بد من التذكير أنّ أغلب العلماء والمؤرخين أنكروا كون اليهود الموجودين في فلسطين، أو في العالم، ينحدرون من أصلٍ وعرقٍ واحدٍ، حيث يقول المؤرخ الفرنسي رينان: "لا يجوز حتى الحديث عن نقاء العرق اليهودي، فقد تعرض هذا العنصر الى التمازج مع الشعوب الأخرى بنفس القدر، الذي تعرضت له باقي الأجناس"[٣٨]. ويؤكد ذلك عالم الأنثروبولوجيا السويسري يوجين بيتار بقوله: "إننا لا نستطيع أن نعتبر اليهود الآن أعضاء في مجموعة بشرية متحدة، ومن عرق، وعنصر واحد، ولا حتى اليهود، الذين جلبتهم الحركة الصهيونية الى فلسطين، فهم ينتمون الى طائفة دينية، واجتماعية انضمت إليها في جميع العصور أخلاط من أجناس أخرى مختلفة"[٣٩]. وهو ما أكده المؤرخ لامبروز بقوله: "إنّ اليهود المعاصرين هم أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي، وهم طائفة دينية تميزت بمميزات اجتماعية واقتصادية، وانضم إليها في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس، ومن صنوف البشر، فجاء المتهودون اليوم من كل تلك الآفاق، فمنهم الفلاشا السود سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذوو السنحة الألمانية الأشكناز، ومنهم التأميل (يهود الهند السود)، ومنهم الخزر الذين ينتمون للجنس التركي القوقازي..الخ، لذلك فمن المستحيل أن نصدق أنّ اليهود ذوو الوجوه الجميلة، والشعر الأشقر الكستنائي، والعيون الزرقاء، ممن نلقاهم في أوروبا اليوم يمتون بأية صلة دم إلى بني إسرائيل، أو أرض الميعاد، أو يهود فلسطين القدماء"[٤٠]. وهو ما أكده الدكتور حسن ظاظا في كتابه "الشخصية الإسرائيلية" بقوله: "ومن الثابت في الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية وجود فوارق، وتباين واضح في المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة في أنحاء العالم فليس هناك سنحه يهودية بل هناك عدة سنحات يهودية، وليس من رابط أو علاقة تربط بينها"[٤١]. علاوة على إنّ بعض علماء اليهود وفلاسفتهم أنكروا وجود عرق أو جنس يهودي خالص، ومنهم المؤرخ والفيلسوف باروخ سبينوزا[٤٢]، الذي يقول: "إنّ اليهودية ليست وطناً، ولا قوميةً، ولا جنساً، ولكنها عقيدة وشريعة يمكن ممارستها في أي مكان مع بقاء اليهودي مواطناً في بلده، ومسقط رأسه[٤٣]". وهكذا يتضح لنا جلياً مدى التضليل، الذي تمارسه الصهيونية في تسويق أفكارها بين اليهود على أنّهم مميزون، وينحدرون من عرق واحد، على الرغم من كل ما يؤكده علماء الأنثروبولوجيا على أنّهم ليسوا من عرق أو جنس واحد.

ثانياً/ مقولة الشعب المختارלהעם נבחרלה

كان لمفهوم الإختيار الإلهي لبنى إسرائيل أكبر الأثر في إحساس اليهود بأفضليتهم على بقية البشر؛ وعلى هذا الأساس وضعوا قوانيناً تحكم علاقاتهم بالآخرين، وبمرور الزمن تسببت هذه القوانين في بناء حاجز قوي يفصل بينهم وبين غير اليهود، والى أن أصبح غير اليهودي في نظرهم يمثل "الأجنبي"، أو "الغريب" "גוי"، فتكوّنت لديهم مصطلحات "الأمم الأجنبية" "גויים" "جوييم" "الأغراب"، أو الأجانب، الذي يعبر عن تميز اليهود عن غيرهم من الأمم"[٤٤]، و"עם נבחר" "عام نفحار" "الشعب المختار"، و"העם הקדוש" "هاعام هاقادوش" "الشعب المقدس" في الماضي، والحاضر، والمستقبل، و"עם עולם"

"عام عولام" "الشعب الأزلي"، و"עם נצח" "عام نيتسح" "الشعب الذي يستحق الحياة الأبدية"، ولم تأتي هذه الأسماء من فراغ، فقد ورد في العهد القديم الكثير من الفقرات، التي تشير إليها وتؤكدها مثل: "لأنك شعب مقدس للرب إلهك، إيّاك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب، الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من شعوب الأرض التصق الرب بكم واختاركم من سائر الشعوب؛ بل من محبة الرب إياكم وحفظ القسم الذي أقسم لآبائكم" (التثنية، الاصحاح ٧: ٨٠٦)، و"أن تكون شعباً مقدساً للرب الهك" (التثنية، الاصحاح ٢٦: ١٩)، و"يقيمك الرب لنفسه شعباً مقدساً" (التثنية، الاصحاح ٢٨: ٩)، وغيرها[٤٥]. التي ولّدت نزعة الاستعلاء لدى اليهود على سائر الأمم والشعوب، وبالنتيجة ظهرت على هذا الأساس العنصرية اليهودية[٤٦]. وقد أكد على مقولة "الشعب المختار" الكثير من الأدباء، والكتاب، والمنظرين اليهود؛ فنجد "אחד העם" أحد هاعام يقول في مقاله "تغيير القيم" "שנוי הערכין": "ישראל הוא אמנם העם הנבחר"[٤٧] "إسرائيل هو حقاً الشعب المختار". ويؤكد الشاعر "נתן אלתרמן" ناتان الترمان في قصيدة "מכל העמים" "من كافة الشعوب" ضمن مجموعته الشعرية "العمود السابع"، على إنّ الرب قد اختص اليهود فقط، من بين كل الشعوب، بالإختيار بقوله "لأنك اخترتنا من بين الشعوب" "כי אתה בחרתנו מכל העמים"[٤٨]. وكما يؤكد على قضية الاختيار في قصيدته الأخرى "היינו כחולמים" "كنا كالحالمين" حيث يقول:

אנו עם סגולה ושאר- רוח نحن شعب مختار، وأصحاب أصالة روحية

אנו עם הפולמוס הרועש(٤٩). نحن شعب الجدل الصاخب.

ويؤكد على ذلك الحاخام اليهودي أبربائيل "الشعب المختار (اليهود)، فقط هو من يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير"[٥٠].

وقد ظهر في التاريخ اليهودي الحديث الكثير من المنظرين، والأدباء الذين يدعون الى إحياء فكرة "الشعب اليهودي"، ومنهم موسى ليف ليلينبلوم في كتابه "إعادة ولادة الشعب اليهودي على أرض أجداده"، الذي يقول فيه: "علينا الكف عن العيش كأغراب، وبدء حياتنا كقومية ذات سيادة مثل باقي الشعوب، وفي هذه الحالة فقط تصبح الفكرة القومية، التي هي مصدر ضوائقنا، بمثابة منبع خلاصنا، لذلك علينا العودة جاهدين كقومية منظمة، بدلاً من كوننا يتامى مشردين بين الأمم والشعوب"[٥١]، وكتاب الحاخام هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤)، "البحث عن صهيون"، وكتاب موسى هيتس (١٨١٢-١٨٧٥)، "روما والقدس"، الذي يقول فيه "لقد حافظ هذا الشعب على قوميته، وديانته، وتوحد بذكريات أرض الأجداد ايماناً منه برسالته التاريخية[٥٢]"، وكتاب الحاخام يهودا القلعي (١٧٩٨-١٨٧٨) "اسمعي يا إسرائيل"، الذي نُشر سنة ١٨٣٤م ، ودعا فيه صراحة إلى ضرورة احياء أمجاد الشعب اليهودي في فلسطين، وإقامة المستعمرات اليهودية فيها، وقد هاجر إلى فلسطين، ومات ودفن فيها سنة ١٨٧٨م، وأقام اليهود أول مستوطنة يهودية في مكان دفنه، هي مستوطنة "بتاح تكفا"، وكتاب ليوبنسكر (١٨٢١-١٨٩١)[٥٣]، "التحرر الذاتي" سنة ١٨٨٢، ثم صدر كتاب "الإحياء القومي للشعب اليهودي في وطنه" سنة ١٨٩٣م لناثان بيرنباوم (١٨٦٣-١٩٣٧)، وأخيراً صدر سنة ١٨٩٥م كتاب "الدولة اليهودية" لتيودور هيرتسل، وكانت كل هذه الكتب تدعوا إلى العودة إلى فلسطين، وخلق "قومية يهودية"، وتكوين "شعب يهودي"، له أرض، وكيان يتميز بهما عن باقي الشعوب"[٥٤].

وقد أوجدت حركة الإصلاح الديني للصهيونية إرتباطاً بين (التناخ) العهد القديم، وبين فلسطين؛ عبر مقولات (الشعب المختار، وأرض الميعاد، والخلاص...إلخ)، والتي يقول عنها ناثان وينستوك في كتابه "الصهيونية ضد إسرائيل" ما نصه: "لو ألغينا مفاهيم الشعب المختار، والأرض الموعودة؛ لانهارت الصهيونية من أساسها"[٥٥]. ذلك إنّ أهم ما يميز هذه المصطلحات، هو إرتباطها بالدين اليهودي؛ الأمر الذي انفردت به الديانة اليهودية عن سائر الديانات، وعلى الرغم من وجود مثل هذه النظرة الإستعلائية، في بعض الديانات الأخرى، إلا إنّه من النادر أن تكون قائمة على أساس شرعي مرتبط بنصوص

دينية، إلا في الديانة اليهودية، حيث تكون هذه النظرة المتعالية مرتبطة بشريعة سامية، إلى درجة إنّها اجتازت كل تلك القرون، وهي على حالها دون تغيير[٥٦]. وهكذا صاغ الفكر الديني الصهيوني العقلية اليهودية في الأدب العبري الحديث، في إطار من العنصرية، التي تسبغ على اليهود صفات المديح، وفي المقابل، تصف الشعوب الأخرى بشتى الأوصاف التي لا تليق بالبشر، وتؤكد على أنّ الإستعلاء العنصري أساس ثابت في تكوين شخصية اليهود[٥٧]. ويؤكد على هذا يوسف حاييم برينر[٥٨] بقوله: "يُجمع كُتّاب تاريخنا على أنّ أجدادنا يهود الجيتو القديم كانوا يشعرون بنوع من الكبرياء والسمو بالنسبة إلى الجوييم "גויים" الغرباء، وذلك حتى عندما كانوا يقبلون أيديهم ويركعون أمامهم"[٥٩].

وقد بلغ اليهود من التشدد في مقولة "الشعب المختار" الى حد أن وضعوا الصعوبات، والعراقيل، أمام كل من يريد الدخول الى الديانة اليهودية؛ لأنّها ديانةً خاصةً بهم؛ وبناءً على ذلك، صار الدين اليهودي دين غير تبشيري[٦٠]؛ لأنّ القداسة اليهودية بالنسبة لليهود أمر يتوارثونه فيما بينهم عن طريق الدم والصفات الوراثية، وليس أمر يُكتسب عن طريق الدين، وقد قضت الشريعة اليهودية بأن اثبات صحة النسب اليهودي يكون عن طريق الأم وليس الأب، "أي إنّ الذي يولد لأم يهودية وأب غير يهودي؛ فهو يهودي، والذي يولد لأب يهودي وأم غير يهودية؛ فليس يهودي"[٦١].

وهكذا صار العالم كله غريباً عنهم، ومهما توطدت علاقاتهم مع الغرباء "גויים"؛ يبقى الشعور في داخلهم بأنّهم متميزون؛ مما أدّى إلى نشوء صراع بينهم وبين الشعوب التي عاشوا بينها؛ ولعل ذلك ما جعل سمة الإنعزالية إحدى أهم السمات الرئيسة للشخصية اليهودية، وهو ما يؤكده الشاعر "חיים נחמן ביאליק" "حاييم نحمان بياليك"، في قصة "החצוצרה נתבישה" "شعر البوق بالخجل" يقول فيها: "אמנם נדחים אנו בכפר שרויים בין הגויים، אבל אל חסד אלוהים، אל רחום וחנון، את עמו לא יטוש ולא יעזוב، והוא נתן לנו ברחמיו את השבת והשפין בבית את תורתו הקדושה והטהורה"[٦٢].
"حقاً نحن منعزلون في تلك القرية بين الجوييم، ولكن الرب الرحيم الحنون لا يمكن أن يتخلى عن شعبه، أو يتركه، فهو تبارك أسمه قد أعطانا السبت، وجعل في بيتنا توراته الطاهرة المقدسة".

وقد بلغ حقد اليهود وحنقهم على الغرباء حتى صار الإنتقام منهم صفةً ملازمةً لهم، وتكرر (الإنتقام) في الكثير من نتاجاتهم الأدبية، ويبلغ ذروته عند بياليك في قصيدته "מגלת האש" "سفر النيران"، التي يقول فيها:

מתחום האבדון העלו לי שירת החרבן من مجاهل الضياع ارفعوا لي نشيد الخراب
שחרה כאדי לבבכם أسود كقلوبكم المتفحمة (من الحقد)
שאוה בגויים، ופוצו בזעומי אלוהם احملوه إلى الغرباء، وانثروه بين من غضب الله عليهم
חתו גחליה על ראשם وصبوا الجمر فوق رؤوسهم
וזרעתם בה אבדן וכליה על כל־שדמותיהם وازرعوا به الخراب والدمار في حقولهم
ואיש איש סביב ארבע אמותיו ولتفعلوا ذلك في كل جهات الأرض الأربعة
וצלכם כי־יחלף עלי חבצלת גנתם وظلالكم ترفرف فوق زنابق حدائقهم
...
ושחוק קחו עמכם، שחוק מר כלענה אכזרי ولتأخذوا معكم إليهم، ضحكة مرة كالعلقم
אשר בו תמיתו(٦٣). تنشرون بها الموت فيما بينهم.

ويقول الشاعر"זלמן שניאור"(٦٤) زلمان شنيور في قصيدته "בהרים" "في الجبال":

שלום לך ארץ ההרים אוירך כה רענן ומבריא سلاماً لكِ أرض الجبال فجوّك جميل ونقي
מחפש לבבות נמקים ומעורר כשרונות נרדמים
يجدد القلوب المتنكرة ويوقظ القدرات النائمة
לעשות נקמה בגויים-תוכחות הלאומים(٦٥). لينتقموا من الغرباء؛ ليتأدب باقي الشعوب.

وينضح تشرنيحوفسكي بالحقد على الجوييم، ويدعو للإنتقام منهم في قصيدته "ברוך המסתגני" "باروخ المغنيستي"، التي تبدأ بالحديث عن الموضوع المتكرر في الأدب العبري، وهو مسألة اضطهاد اليهود!، يقول فيها:

וברחובות קהל אכרים في الشوارع جموع الفلاحين
אמנם פרשים والحرفيين والفرسان
נאקות חלל، בכי עוללים أنات الموتى، وبكاء الأطفال
קול תחנוני־נשים أصوات النساء الثكالى
שברי־כלים קרעי־בגד الأواني محطمة وملابس مهلهلة
כתמי־דם ברפש والدماء تسيل على الطين
קול הקוראים הכוס שחאם(٦٦). وصرخات تنادي فلتضربهم حتى الموت.

ويقدم س.يزهار في قصته "חרבת חזעה" "خربة خزعة" عدة نماذج من صور الإنتقام الوحشي تجاه القرية العربية حرقاً، وسلباً، وتدميراً، حيث يدور في القصة جدال بين الكاتب ومجموعة من الأفراد، الذين يؤمنون بآرائه، وبين جماعة أخرى يؤيدون الإنتقام في الحرب، وأثناء انتظار الجنود أمر البدء بتنفيذ العملية إزداد شعورهم بالملل؛ فتولّدت لديهم رغبة قوية في الإنتقام، يقول فيها: "מה אתה אומר איזה כוח־חיים עצום יש לחמור. אמר האלחוטי.. אתמול דפקתי אחד בשלושה כדורים ולא מת.. עזוב.. לא יכול להיות.. בחיי אתמול، על יד המחנה.. יצאתי לבדוק את הכלי.. ראיתי אותו מסתובב לו אצל הגדר.. תיכף דבקתי אותו"(٦٧). "ماذا تقول في هذه القوة الخارقة للحياة عند الحمار، قال المخابر؟.. أمس رميت واحداً بثلاث اطلاقات ولم يمت!.. دعك من هذا،.. فهذا مستحيل.. أقسم بالأمس، وبالقرب من المعسكر.. خرجتُ لكي اجرب البندقية.. فرأيته يتجول عند السور.. وعلى الفور رميته".

وفي الختام لا بد من التعرض للفقرة التالية التي وردت في "التلمود"، وتصف اليهود بوصف يصعب التعليق عليه، وتوضح مدى العنصرية، التي طبعتها مقولاته في نفوسهم، وجعلتهم يسمون بأنفسهم فوق أجناس البشر: "نحن شعب الله المختار في الأرض، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا، ذلك إنّه لأجل رضاه ورحمته عنا سخّر لنا الحيوان الإنساني، وهم كل الأمم والأجناس، سخرهم لنا، لأنّه يعلم أننا نحتاج نوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والأنعام والطير، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم في الشرق والغرب، سخرهم لنا ليكونوا في خدمتنا، وفرقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم...!؟(٦٨)".

ثالثاً/ أمثولات العنصرية اليهودية في الأدب العبري الحديث.

يُعد بيرتس سمولنسكين(٦٩) (١٨٤٢-١٨٨٥)، حلقة الوصل بين عصر التنوير اليهودي، وعصر "الإحياء القومي"(٧٠)، وهو أول من دعا في كتابه "الشعب الخالد" "עם עולם"، الذي نُشر سنة ١٨٧٢م، الى النظر الى اليهودية على أنّها قومية، وليس مجرد طائفة، أو دين، والى ضرورة نشر اللغة العبرية بين اليهود؛ لتأثره بالحركة القومية في ألمانية، ويتكون كتابه من ثلاثة فصول، الأول "متنبئ ومشرع"، والثاني "هلئيل الشيخ"، والثالث "الحماس للشريعة"(٧١)، يطالب فيها بضرورة حل "المسألة اليهودية" بأنشاء دولة "للقومية اليهودية"، مع الحفاظ على الأصول الدينية، والاخلاقية اليهودية، وذلك إستناد الى الوعد الإلهي (العهد الأبدي) "ברית עולם"، الذي ينص على منح فلسطين لليهود ليقيموا عليها دولتهم(٧٢).

والبداية مع شاعر "القومية اليهودية"، كما يسميه اليهود، "חיים נחמן ביאליק" "حاييم نحمان بياليك" في قصيدته "تحية شعب"، والتي يفتخر بها بعظمة "الشعب اليهودي" بصورة عنصرية متعالية يقول فيها:

גו קו-קו אנחנו! מקו לקו קוממו نحن أمة أصلحت تدريجياً
שממות עולם ובנו בניין- עד! صحراء العالم، وشيدت بنياناً أبدياً
יש-יום–ומים עד-ים יצאו ישתוממו وسيأتي يوم يندهشون فيه

לראות מה–פעל קטן גויים، עם נד!(٧٣). من رؤية ما فعله شعب متجول من أصغر الأمم.

ويؤكد على هذه النغمة "שאול טשרניחובסקי"[٧٤] "شاؤول تشرنحوفسكي" في قصيدته "שיר ערש" "تعويذة المهد"، يقول فيها:

עברי הנך، בני، אך זה האו عبري أنت، يا بنيّ، وفي هذا
אשרך גם אסונך مصدر سعادتك، وحزنك
חוטר גזע עם-הקדומים، فرع من سلالة شعب عريق
על העמים גאונך(٧٥). تسمو عظمتك فوق الشعوب.

يوجه الشاعر كلامه الى أطفال اليهود؛ لكي يرسّخ في أذهانهم صفة السمو، والإعتزاز بكونهم يهود "עברי הנך، בני، אך זה האו" "عبري أنت، يا بنيّ، وفي هذا"، مصدر سعادتك، وفي الشتات مصدر شقائك "על העמים גאונך"، ويزعم أنّ اليهود جاءوا من فرع نقي، "חוטר גזע עם-הקדומים" "ومن سلالة شعب عريق" وهكذا يسمون فوق كل الشعوب.

ويطالعنا "יהודה לב גורדון" يهودا ليف جوردون[٧٦]، الذي استمد مادة انتاجه الأدبي من قصص التوراة، بأسلوب وجداني عاطفي، كما في "المرأة وأولادها" "האשיא וילדה"، و"בין שנא אריות"[٧٧] "بين أنياب الأسود"، ثم أتجه الى الموضوعات الاصلاحية في شعره، وهو أول من رفع شعار "كن عصرياً"، وحث اليهود على الاستفادة من علوم العصر الحديث في اصلاح أحوالهم[٧٨]، واستطاع أن يلخص نظرة اليهودي الحديث الى التقاليد الدينية المتزمتة في فترة الشتات بقوله: "إنّ التوراة أدت الى أن يكون اليهودي ميتاً على الأرض، وحياً في السماء"، فأطلق صيحته المشهورة "كن يهودياً في بيتك، وانساناً في الخارج"، والتي صارت شعاراً لحركة الهسكالا[٧٩]. وفي قصيدته "הקיצה עמי""استيقظ يا شعبي"، والتي كتبها عام ١٨٦٣م، يدعوا فيها اليهود بأنّهم شعب واحد، وعليه أن يعود الى أصله، يقول فيها[٨٠]:

הקיצה עמי עד מתי תישנה ؟ استيقظ يا شعبي الى متى هذا السبات
הן גז הליל، השמש האירה(٨١). قد انقشع الليل الآن، وأشرقت الشمس.

ويقول "جوردون" في قصيدته الأخرى "בנעריני ובזקיני נלך" "بشبابنا وشيوخنا نذهب":

עם אחד היינו ועם אחד נהי شعب واحد كنا وشعب واحد سنبقى
כי ממקבת בור אחד נוקרנו لأننا خرجنا من مصدر(بئر) واحد
יחד ונחלוקה גם שמחה גם נהי نقتسم السعادة، والأحزان معاً
זה שנים אלפים מעת נפזרנו ألفي عام مضت، ونحن مشردون
ומגוי לגוי מפלך לפלך من شتات الى شتات، ومن منطقة الى اخرى
בנעריני ובזקיני נלך لنذهب سوية شبابا وشيوخا.
....
עם אחד נחנו، כי אל אחד לנו، نحن شعب واحد، لأن إلهنا واحد،
וממקבת בור אחד נוקרנו، ومن اصل واحد خلقنا،
גם תורה אחת، ושפתה אתנו توراتنا واحدة، ولغتنا واحدة أيضاً
ובעבתות זהב אלה נקשרנו، وهذه الضفائر الذهبية جمعتنا
בחוט המשולש הזה המקשרנו وبهذا المثلث ارتبطنا ببعضنا
בנעריני ובזקיני נלך(٨٢). بشبابنا وشيوخنا نذهب.

يزعم جوردون أنّ اليهود شعب واحد "עם אחד היינו ועם אחד נהי" منذ بداية تاريخهم، وجاؤوا من مصدر واحد "כי ממקבת בור אחד נוקרנו"، ويفترض وجود وحدة بين كل الأقليات اليهودية المتناثرة حول العالم، وأنّهم حافظوا على هذه الوحدة، والرابطة الروحية، التي تجمعهم على مر العصور "וממקבת בור אחד נוקרנו"، ويزعم أنّ "גם תורה אחת، ושפתה

אתנו" توراتنا واحدة، ولغتنا واحدة، كنا ولا زلنا، أمة واحدة حتى في شتاتنا بين البلدان؛ وأنّهم ينحدرون من مصدر وآباء معلومين (ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام وحاشاهم).

وقد سار على هذا المنوال أغلب الكتاب، والأدباء اليهود في التأكيد على أن اليهود شعب واحد، ومن أصل واحد، فنجد "חיים הזז" حاييم هزاز[٨٣] يقول في روايته "יעיש" "ياعيش" "אנחנו בני אברהם، יצחק ויערב، וכל שמחתנו היא לשם שמים[٨٤]" "نحن أبناء ابراهيم، واسحق، ويعقوب، وكل فرحنا من أجل الرب". على أنّ أغلب الكتاب والمنظرين اليهود يؤكدون أنّ اليهود ليسوا من مصدر أو جنس واحد؛ لذلك نراهم يصرون على أنّ وحدة الدين، والروح، هي التي تجمع اليهود، وتقوي صلتهم، بغض النظر عن اختلافهم في العناصر، التي ينبغي توفرها لقيام الأمم والشعوب، يقول سمولنسكين: "نحن شعب تربطه وحدة الروح والنفس ويجمعه الحب، كما لم يجمع أي شعب آخر، وعلى الرغم من إننا لا نشكل أمة بالمعنى الذي تتشكل فيه الأمم الأخرى، ولكننا أمة روحية، وكانت "التوراة" أساس تجمّعنا، لذا استمرت ديمومتنا حتى يومنا هذا شعباً روحياً"[٨٥]. ويؤكد الأديب "ברוך קורצווייל[٨٦]" باروخ قورتسفايل في كتابه "ספרותנו החדשה-המשך או מהפכה" "أدبنا الحديث استمرار أم ثورة" قوله: "إنّ لكل أمة مستقلة، ومستقرة في بلادها وأرضها عناصر مشتركة ترتبط بالأرض، ونظام الحكم، والدين، واللغة، والتاريخ، والدم والعرق، حيث أعطت كل هذه المسميات وغيرها متحدة طابعاً خاصاً لهذه الأمة عن باقي الأمم... وبماذا يختلف اليهود عن باقي الأمم؟ إنّ اليهود ليسوا شعباً طبيعياً منذ ولادته، حيث إنّ شعبيته لم تولد منذ البداية على أعتاب الطبيعة، أو على أعتاب المشاركة في الأرض، والجنس، وغيرها من العناصر؛ وإنما ولدت على أعتاب التوراة، والعهد مع الرب والدين"[٨٧].

ومما لا شك فيه أنّ كل تلك الإدّعاءات؛ قد دحضها أغلب المؤرخين، والمتخصصين في حضارات الشعوب، ومنهم المؤرخ البريطاني وول ديورانت في كتابه "قصة الحضارة" حيث يقول: "إنّ الربانيين والحاخامين اليهود فسروا التوراة حسب أهوائهم، وبالشكل الذي يلبي غرائزهم الشريرة، ونزوعهم الى التفوق، والتعالي على بقية أجناس البشر"[٨٨]، ويقول أيضاً: "إنّ اليهود لم يكونوا شعباً، أو جنساً بشرياً أصيلاً منذ ظهورهم، وحتى اليوم؛ بل كانوا خليطاً من سلالات كثيرة، وأنّه لا يمكننا أن نتصور أنّه يوجد جنس نقي في الشرق الأوسط وسط آلاف التيارات الجنسية التي تتلاطم فيه"[٨٩].

ولا بد من التذكير أنّ أغلب هذه النظريات العنصرية؛ قد أستمدها اليهود من كتاب "عدم تساوي الأجناس البشرية" للكاتب الفرنسي دي جوبينو، الذي نُشر بين الأعوام ١٨٥٣-١٨٥٥، وضمنه رؤيته العنصرية الكاملة، التي تُعد بمثابة تفسير عنصري للتاريخ الإنساني، ويزعم فيه: "إنّ صعود، وانهيار الأمم، ليس بسبب العوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، أو السياسية؛ ذلك إنّ الأجناس الإنسانية، يمكن تصنيفها الى أجناس ممتازة، وأخرى منحطة؛ فالأجناس الممتازة قادرة على التقدم، والصمود، والرقي، أما الأجناس المنحطة فمحكوم عليها بالتخلف الأبدي"[٩٠]. لذلك، كانت العنصرية أحد أهم الأطر المرجعية للحضارة والمجتمع الغربي في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر، وكما هو معلوم، فإنّ الصهيونية ولدت داخل هذا الإطار، وكان لا بد لها من أن تتأثر به، وبما إنّها تبنت الحل الإستعماري في فلسطين؛ فلا بد لها من تبنى العنصرية أيضاً، وبالفعل؛ حاولت الصهيونية النظر الى اليهود على أنّهم أساساً من جنس أبيض مختلف عن باقي أجناس الشعوب، وبغض النظر عن الخلفيات الأيديولوجية، والعلمانية للحركة الصهيونية، فإن أغلب الإدّعاءات، التي استندت عليها في صياغة أيديولوجيتها قد رسخت في أذهان اليهود، وجعلتهم يعتقدون أنّهم فوق الجميع، والتي نتج عنها ما يلي[٩١]:

١. إنّ اليهود جنس فريد، وأمة مستقلة من دون الأمم الأخرى: وهي بحد ذاتها فكرة دينية، وليست جوهر قومي، بمعنى، إنّ الذي يجمع اليهودي الروسي، والإيراني، والألماني، ويهود الفلاشا...الخ هو رابطة الإنتماء الديني فقط[٩٢].

٢. حق اليهود التاريخي في فلسطين: بغض النظر عن الاختلاف القائم بين اليهود في دعوى الحق في فلسطين، سواء أكان بناءً على الوعد الإلهي، أو بدعوى الحق التاريخي، أو القومي[٩٣]. ولذلك جاءت الفكرة المركزية في الأيديولوجية الصهيونية امتزاج، وتداخل بين القداسة الدينية، والتاريخية القومية[٩٤].

٣. الإختيار الإلهي للشعب اليهودي (الشعب المختار)[٩٥].

٤. معاداة السامية: أي إنّ هناك معاداة من قبل شعوب العالم تجاه اليهود، نابعة من كونهم من أصل سامي غريب عن الأصول الأخرى[٩٦]. وبناءً على هذه الطروحات الأيديولوجية تولد لدى اليهود موقف سلبي، ونظرة إستعلائية تجاه العرب، والفلسطينيين خاصة نوجزها بما يلي:

١- إنّ قيام "دولة إسرائيل" ما هو إلا تجسيد للحلم التوراتي القديم[٩٧].

٢- إنّ أرض فلسطين ليست أرض عربية، بل هي الأرض الموعودة لليهود وإنّ "التوراة" نصت على ذلك بشكل صريح[٩٨].

٣- لا يمكن الثقة بالأغيار، وإنّ العربي متخلف، واليهودي رجل علم، وحضارة، ولذلك فمن حق اليهودي شغل المكان، الذي لا تسوده الحضارة[٩٩].

٤- إنّ شخصية العربي هي نقيض شخصية اليهودي ثقافياً، وتاريخياً، وفكرياً، وهو قطعاً لن يكون مثله في أية حال[١٠٠].

ويؤكد الشاعر "יצחק ליאור[١٠١]" إسحاق لاؤر في قصيدته "שירות חובה" "الخدمة الإجبارية"، على خاصية نقاء الدم اليهودي وتفوقه، ولا يساوي فيها بين نقطة دم يهودية، وبين كثير من الدماء العربية، التي تراق يقول فيها:

לטר דם שלו .... שווה היה — لتر دم منه .... كان يساوي
בהתחלה ששה ליטרים דם — في البداية ستة لترات من دماء
של השכנים אולי פחות אפילו חמישה — جيرانه أو ربما خمسة
אבל עכשיו שווה כבר — لكن الآن يساوي أكثر طبعاً
ליטר דם שלו יותר הרבה — لتر الدم منه يساوي أكثر بكثير
יותר אולי חמשמאות ומגמת — أكثر ربما من خمسمائة لتر ويتجه
העליה נמשכת-נראה שתימשך — نحو الزيادة المستمرة- ويبدو أنّه في تزايد مستمر
לאורך זמן (אם לא יצליח — لزمن طويل (إذا لم ينجح
מישהו מכל שכניו לצוד אותו — أحد ما من جيرانه في اصطياده
בגלל הדם היקר הזה שבכליו)(١٠٢). — بسبب الدماء الزكية التي تجري في عروقه.

وختاماً، فإنّ العنصرية، التي يقوم عليها الفكر الصهيوني معقدة ومركبة، وجزء لا يتجزأ من الحياة الإسرائيلية، ونظامها الفكري، والأدبي، والسياسي، بحيث صار المجتمع الإسرائيلي يتكون من فئات وشرائح سكانية مصنفة تصنيفاً عنصرياً يعكس بنيته الاجتماعية، وتتألف هذه العنصرية من شقين، عنصرية داخلية موجهة من مذهب تجاه الآخر، وعنصرية خارجية موجهة من كل المذاهب ضد الآخر غير اليهودي، وقد أفرزت تكتلات بشرية، وآراء مختلفة داخل المجتمع الإسرائيلي، منها ما يؤيد الحرب، ومنها ما يرفضها، ومنها ما يطلب السلام على طريقته المبهمة، ومنها ما يتغنى بإراقة الدماء..الخ، غير إنّ الجميع يصبون الى هدف واحد، هو الحفاظ على الكيان الإسرائيلي، وحقه في الوجود، والتوسع على حساب العرب، واستباحة أرضهم ودمهم وممتلكاتهم، لذلك تأثر الأدب العبري بأهم الأحداث السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، التي سادت المجتمع الإسرائيلي وأثّر فيها، وأحداث كالحرب؛ تُحفّز الأديب للتعبير عن خوالج الذات اليهودية المشبعة بالفكر الصهيوني العنصري.

النتائج:

من خلال ما مر بنا في هذه الدراسة يمكننا أن نلخص أهم ما توصلت إليه من نتائج في النقاط التالية:

١- إنّ الصهيونية عقيدة ومنهج عملي، تستمد أصولها من التوراة المحرّفة، وشروح خطتها المفصلة في التلمود، وهي تقوم على الاعتقاد بأفضلية اليهود على سائر شعوب العالم الأخرى، بدعوى العهد الذي قطعه الله لهم (كذباً وزوراً).

٢- إنّ العنصرية التي يقوم عليها الفكر الصهيوني عنصرية معقدة، ومركبة بحيث أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحياة الإسرائيلية، ومن نظامها الفكري، والأدبي، والسياسي، وانعكست على مجالات الحياة في إسرائيل، بحيث أصبح المجتمع اليهودي الإسرائيلي يتكون من فئات، وشرائح سكانية، مصنفة تصنيفاً عنصرياً يعكس البنية الاجتماعية له.

٣-إنّ الأدب العبري، (وكما هو حال سائر آداب العالم الأخرى)، يتأثر بأهم الأحداث السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، التي تسود المجتمع الإسرائيلي ويؤثر فيها، وأحداث كالحرب تحفز الأديب العبري على التحرك للتعبير عن خوالج الذات اليهودية المشبعة بالفكر الصهيوني العنصري، وانفعالاتها، ونوازعها.

٤- من خلال استعراض نتاجات الأدباء والمنظرين أمكن من معرفة مكنونات اليهود، ودواخل نفسياتهم، ونظرة العنصرية والاستعلاء، التي ينظرون بها تجاه الأمم والشعوب الأخرى، وكيف انعكست تلك النظرة في نتاجاتهم، والتي تعكس حقيقة المجتمع الإسرائيلي.

المصادر والمراجع

(١) الأدب العبري الحديث: هو كل صنوف الأدب، الذي أنتجته الجماعات اليهودية الأشكنازية في أوروبا بين الأعوام ١٧٥٠- ١٩٤٨، أي منذ بداية ظهور حركة الهسكالا اليهودية، وتناول هذا الأدب موضوعات متنوعة تتعلق باليهود، واليهودية، والقومية اليهودية، والشعب المختار، والشوق والحنين الى فلسطين والدعوة الى الهجرة إليها والاستيطان فيها. للمزيد انظر (حماد، د.أحمد: دراسات في الأدب العبري الحديث، مركز الدراسات الشرقية، سلسلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٥-٦).

(٢)المسيري، د.عبد الوهاب: اليهودي الخالص-الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص١٦٦.

(٣) ظاظا، د.حسن: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢، ص ١٠٠-١٠١.

(٤) עמוס עוז، عاموس عوز: من أشهر الأدباء الإسرائيليين المعاصرين، والمعنيين بالصراع العربي الإسرائيلي، ولد في القدس سنة ١٩٣٩، درس الأدب العبري، والفلسفة في الجامعة العبرية في القدس، ويتنوع نتاجه الأدبي بين القصة القصيرة، والرواية، والرواية القصيرة النوفيلاه "נוולה"، والمقال، والشعر، ومن أهم أعماله: "أراضي بن أوى" ١٩٦٥، و"في مكان آخر" ١٩٦٦، و"لمس المياه والرياح" ١٩٧٣، و"صندوق أسود" ١٩٨٣، و"قصة حول الحب والظلام" ٢٠٠٢، و"زوجي مخائيل"، و"راحة صحيحة"، و"حتى الموت"، و"جبل المكبر"، شارك عاموس عوز في حركة "السلام الآن" للفترة من ١٩٧٨-١٩٨٠، تطرقت أعماله الى الكثير من الموضوعات، التي أكسبته شهرة واسعة، وجعلته من الأدباء المميزين في إسرائيل، للمزيد انظر/נא לעיין: (גרנות، משה: שיחות עם סופרים، קווים הוצאת לאור، תל אביב، 2007، עמ" 70-69).

(٥) עוז، עמוס: על האדמה הרעה הזאת، סימן – קריאה، מאי 1977، עמ" 70.

(٦) ظاظا، د.حسن: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، طبعة ٢، دمشق، ١٩٩٠، ص٣٦.

(٧) عليان، سيد: صورة العرب في القصة العبرية القصيرة من خلال أقاصيص موشيه سميلانسكي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢-٣.

(٨) قوانين مايو: هي مجموعة من القوانين التي أصدرتها الحكومة الروسية في مايو من العام ١٨٨٢م، تتضمن منع الجماعات اليهودية في روسيا من امتلاك العقارات إلاّ في الأماكن الموجودة داخل منطقة الاستيطان اليهودي، ولا يسمح لليهود السكن خارج هذه المناطق، وإذا خرج اليهودي من منطقة سكنه فلا يسمح له بالعودة إليها، وللسكان الروس الحق في طرد اليهود من قراهم. للمزيد انظر (المسيري، د.محمد عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، م ٤، ١٩٩٩، ص ٣٧٩).

(٩) حركة بيلو: تأسست من قبل مجموعة من طلبة جامعة خاركوف في روسيا سنة ١٨٨١م، واتخذت أسمها من الحروف الأولى من كلمات الفقرة الخامسة في سفر أشعيا، الاصحاح الثاني، التي تقول (يا بيت يعقوب اذهبوا ونذهب معكم) "בית יעקוב לכו ונלכה"، والتي كانت بمثابة شعار لحث اليهود على الهجرة نحو فلسطين، ثم

أخذت بالانتشار خارج حدود الجامعة، حتى بلغ عدد أعضاءها أكثر من ٥٢٥ عضواً، وكانت تنادي بالهجرة إلى فلسطين ونبذ فكرة الاندماج، وكان أعضاءها على قناعة تامة بأنّه لا سبيل لخلاص اليهود في المجتمعات الأوربية إلا بالإحياء القومي، وبعث الأمة اليهودية، والشعب اليهودي في وطنه فلسطين. للمزيد انظر:

-New Encyclopedia Britannica.Vol.10,Zionis the Edition Chicago,1985.p885-886.

(١٠) حركة أحباء صهيون חבת ציון: أسسها الحاخام اليهودي موهيليفر (١٨٢٤-١٨٩٨م) سنة ١٨٨٢م، ثم انتشرت فروعها في أغلب المدن الأوربية، عقدت أول مؤتمر لها سنة ١٨٨٤م في مدينة أوديسا في روسيا، وتم فيه انتخاب اليهودي الروسي الدكتور ليوبنسكر(١٨٢١م-١٨٩١م) رئيساً لها، وأصبح عدد أعضائها سنة ١٨٨٦م في روسيا وحدها حوالي أربعة عشر ألف عضو، وكانت بمثابة ثمرة لسلسلة من الحوادث، التي غذت الفكر اليهودي، واللاسامية الأممية، أو ما يعرف: بمعاداة السامية. ثم انقسمت الحركة إلى قسمين الأول بزعامة موسى ليف ليلينبلوم (משה לבלילנבלום) (١٨٦٤م-١٩١٠)، الذي كان يدعوا إلى الهجرة والاستيطان المباشر في فلسطين، والقسم الثاني كان بزعامة أشر تسفي جيزنبرج (אשר צבי גיזנברג) (١٨٥٦-١٩٢٧م) الملقب بـ "אחד העם" "أحد هاعام". وأهم ما كان يدعوا إليه زعمائها في كتاباتهم هو العودة إلى فلسطين، واستئناف حياة اليهود فيها، وبناء وطنهم القومي عليها. للمزيد ينظر (علي، د.فؤاد حسنين: الأدب اليهودي المعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الفلسطينية، القاهرة، ١٩٧٢، ص٦٦).

(١١) الشتات (גולה، גולת، דיאספורה): مصطلح يشير إلى وجود اليهود خارج فلسطين، وظفته الصهيونية لخدمة أغراضها التوسعية في فلسطين، مؤكدة على إنّ الشتات فُرض على اليهود على امتداد التاريخ، مثل شتات مصر، الذي ارتبط بوجود يعقوب وبنيه في مصر، وشتات إسرائيل، والمقصود به شتات القبائل اليهودية العشرة المفقودة، وشتات بابل في زمن السبي البابلي زمن صدقياهو، وشتات روما، وغير ذلك، ويشير هذا المصطلح الصهيوني الى إنّ الهجرة إلى فلسطين تُنهي حالة الشتات لدى اليهود، وطالما إنّ اليهود خارج فلسطين فهم في شات مستمر، ومعرضون للظلم، والاضطهاد، والإبادة، ولا تنتهي حالتهم هذه إلا بالهجرة إلى فلسطين. للمزيد انظر (تلمي، أفرايم ومناحيم: معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة أحمد بركات العجرمي، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن، ١٩٨٨، ص٩٣).

(١٢) السفاراديم: تسمية تُطلق على اليهود الذين عاشوا في اسبانيا حتى سنة ١٤٩٢م، وعلى نسلهم الذين انتشروا في أجزاء واسعة من العالم، وخاصة في شمال أفريقيا، والشرق الأوسط، وتختلف العلاقة بين السفارديم، والأشكنازيم من دولة إلى أخرى، والتي منها عدم تقبل أحدهما لدخول الآخر، وتصل أحياناً إلى حد الامتناع عن الزواج فيما بينهم. للمزيد انظر(مزعل، غانم: الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، دار الجليل للنشر والدراسات والبحوث الفلسطينية، عمان، الأردن، ١٩٨٦، ص٢٤-٢٥).

(١٣) الأشكناز أو الأشكنازيم: تسمية تُطلق على يهود ألمانيا، وعلى نسلهم الذين هاجروا إلى مختلف البلدان، وذلك لتمييزهم عن يهود السفاراد، ويتميزون عنهم باسلوب الحياة، والتحضر، وحتى في الطقوس الدينية، وخلال عدة أجيال من انتشار وتوسع يهود الأشكناز، فقد ازدادت أعدادهم، وفاقوا يهود السفارديم، حيث شكلوا ٩٠% من يهود العالم قبيل الحرب العالمية الثانية. للمزيد انظر(مزعل، غانم: الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، المصدر السابق، ص٢٤-٢٥).

(١٤) בן עמי، שלומי: העם נגד לאמה، מעריב 22/9/1996، עמ"٣٤.

(١٥) أهارون ميجيد: ولد في مدينة وارشو ببولندا عام ١٩٢٠، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٦، ودرس في مدرسة هرتسليا في تل أبيب، وأقام لفترة في كيبوتس "שדות ים" شدوت يم" وعمل في صحيفة "في الفجر"، كما اختير مستشاراً ثقافياً لإسرائيل في لندن في الفترة من ١٩٦٨ وحتى ١٩٧١، من أهم أعماله "רוח הימים " "رياح الأيام"، و"חצות היום" "في منتصف النهار"، و"ישראל חברים " "إسرائيل أصدقاء"، "חדפה ואני" 1964، ورواية "الحي أفضل من الميت" ١٩٧٠. للمزيد انظر:(علام، د.عمرو عبد العلي: الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢٥).

(١٦) מיגד، אהרון: חצות היום، הוצאת הקיבוץ המאוחד، תשל"ג، עמ" ٨٣.

(١٧)حسن، د.محمد خليفة: الشخصية الإسرائيلية، دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، السلسلة الدينية والتاريخية، عدد٢، ١٩٩٨، ص ١٠٣-١٠٤.

(١٨) حسن، د.محمد خليفة: الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٢١.

(١٩) אלמוג، שמואל: על עם וארץ בלאומיות היהודית، הוצאת הקיבוץ המאוחד، תל- אביב. עמ"55.

(٢٠) العرق: هو مجموعة من السمات البيولوجية، مثل (حجم الجمجمة، ولون البشرة، والجلد، والعيون، والمظهر الخارجي...الخ)، والتي يُفترض وجودها في جماعة بشرية تتميز بها عن غيرها من الجماعات الأخرى، وهذه الكلمة لها مرادفات أُخرى مثل الجنس، والسلالة، والدم. للمزيد ينظر (المسيري، د.محمد عبد الوهاب: الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، ط ٣، دار الشروق، ٢٠٠٩، ص٤٢).

(٢١) التلمود: هو المجموعة الأساسية لقوانين وشعائر العبادة اليهودية، ويعتبر "الشريعة الشفهية" للدين اليهودي، في مقابل الشريعة المكتوبة وهي "التوراة"، وقد كان التلمود، ولا يزال، يمثل الصدارة بين المصادر الدينية لدى اليهود، ولا زالوا يعتمدون عليه في كل توجهاتهم، ولدى اليهود تلمودان الأول التلمود الفلسطيني، أو الأورشليمي، والثاني هو التلمود البابلي، وهما مكتوبان بالآرامية، ولكن التلمود الأورشليمي مكتوب بالآرامية الغربية، في حين أنّ التلمود البابلي مكتوب بالآرامية

الشرقية، وقد استمر تدوين التلمود مدة ٢٠٠سنة (من حوالي ١٠م- ٢٢٠م)، وقد جُمع بعناية على يد الحبر اليهودي "يهوذا ابن شمعون" الملقب بـ "الرباني الأكبر يهوذا ابن الربن غمليال"، وهو سابع رؤساء المجمع الفقهي اليهودي الأعلى (السنهدرين، أو السنهدريم، وهو اصطلاح يطلق على المجمع الفقهي العلمي الديني اليهودي الأعلى). للمزيد انظر (سوسة، د.أحمد: أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ٢٠٠٣، ص٨-١١).

(٢٢) العكش، د.سعيد عبد السلام: مفاهيم عنصرية في الأدب العبري الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨، ص٧٨.

(٢٣) سليمان، د. علي: العنف في الادب الصهيوني، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١١، ص ١٢١.

(٢٤)القشطيني، خالد: الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ١٧٣.

(٢٥)القشطيني، خالد: الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٢٦)נפתלי הירץ אימבר، نفتالي هيرتس ايمبر (١٨٥٦-١٩٠٩): من أبرز شعراء موجة الهجرة الأولى، هاجر إلى فلسطين سنة ١٨٨٢م، وفي سنة ١٨٨٦م أصدر مجموعة شعرية بعنوان "حمدي" "ברני" ضمنها قصيدته "الأمل" التي صارت فيما بعد النشيد الوطني لإسرائيل بعد اعلان قيام الدولة. للمزيد انظر(جبة، د.عبد الخالق عبد الله: المضمون التوراتي والأيديولوجي للنشيد الوطني الإسرائيلي (الأمل התקוה)، جامعة أسيوط، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٧-٢٠).

(٢٧) جبة، د.عبد الخالق عبد الله: المضمون التوراتي والأيديولوجي للنشيد الوطني الإسرائيلي (الأمل התקוה)، المصدر السابق، ص٢٢-٣٣.

(٢٨) القشطيني، خالد: الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٢٩) אחד העם، أحد هاعام: واحد من الشعب، "אשר צבי גינזנברג" "أشر تسفي جيزنبرج"، ولد سنة ١٨٥٦ في مدينة كييف في روسيا، أحد أهم زعماء حركة "أحباء صهيون"، كان أبوه تاجر حسيدي معروف، فعلمه في "الحيدر" التعاليم التوراتية الحسيدية، وهو أحد أهم مفكري وكتاب، ومنظري الصهيونية، وهو أول من دعا الى توحيد اليهود تحت مسمى "الصهيونية الروحية" بدلاً من "الصهيونية السياسية"، توفي سنة ١٩٢٧. للمزيد انظر: (علام، د.عمرو عبد العلي: الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، المصدر السابق، ص٢٢).

(٣٠) העם، אחד: בשר ורוח، כל כתבי אחד העם، הוצאת דביר، תל-אביב، 1975، עמ" 305.

(٣١) בן ניר، יצחק: ברגר، אחרי הגשם، כתר، ירושלים، 1979، עמ" 78.

(٣٢) בן ניר، יצחק: ברגר، אחרי הגשם، כתר، ירושלים، 1979، עמ" 84.

(٣٣) الخطيب، أنيس: الخلفية العنصرية للتشريعات الإسرائيلية، دار القدس، بيروت، ١٩٧٨، ص٢٣.

(٣٤) الخطيب، أنيس: الخلفية العنصرية للتشريعات الإسرائيلية، المصدر السابق، ص٢٤.

(٣٥)ש.שלום، ش.شالوم: شاعر عبري ولد في غاليسيا سنة ١٩٠٥ لأسرة متدينة، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٢٢، وعمل في تدريس الأدب العبري الحديث، ثم صار رئيساً لرابطة الأدباء العبريين. ثم عمل محرراً للمجموعة الأدبية "قومليت" التي تصدر في حيفا، حصل على جائزة تشنخوفسكي وجائزة بيالبق سنة ١٩٤١، له الكثير من القصائد، والأعمال الادبية. للمزيد انظر(שאנן، אברהם: מלון הספרות החדשה העברית והכללית، שם، עמ 839).

(٣٦)שלום، ש.: שירים ד، יבנה، תל אביב، 1966، עמ" 15.

(٣٧) אלתרמן، נתן: הטור השביעי، ספר ראשון، הוצאת הקבוץ המאוחד، תל-אביב، 1980، עמ"69.

(٣٨) السعد، جودت: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص٧٨.

(٣٩) ظاظا، د.حسن: أبحاث في الفكر اليهودي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٤٠) شلبي، د.أحمد: مقارنة الأديان، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، ط١٠، القاهرة، ١٩٩٢، ص٦٧.

(٤١) ظاظا، د.حسن: الشخصية الإسرائيلية، المصدر السابق، ص٣٥.

(٤٢) باروخ سبينوزا: فيلسوف يهودي هولندي، وضع أساس حركة التنوير في أوروبا في القرن السابع عشر، والنقد الحديث للنصوص الدينية، ويعتبر أحد أكثر العقلانيين في الفلسفة شهرة في أوروبا في القرن السابع عشر، نشأ في مجتمع هولندي متبنياً أفكاراً وآراء مثيرة للجدل تشكك في مصداقية التلمود والطبيعة الإلهية، ما أدى إلى مقاطعته من قبل اليهود المتدينين، ثم اصدر أمر بطرده من المجتمع اليهودي. للمزيد انظر(عسمون، جلعاد: مصدر سبق ذكره، ص١٠٨).

(٤٣) ظاظا، د.حسن: أبحاث في الفكر اليهودي، المصدر السابق، ص ٩٨-٩٩.

(٤٤) حسن، د.محمد خليفة: أصول الاغتراب في الأدب العبري القديم، مجلة الدراسات الشرقية، ع ١، ب ت، ص٧٠.

(٤٥) مظفر، سليمان: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ١٩٩٥، ص ٣٦٨.

(٤٦) عاطف، د.نعمان: العنف في الفكر الصهيوني قبل اقامة دولة اسرائيل ١٩٤٨، جامعة القدس المفتوحة، الخليل، فلسطين، ٢٠٠٨، ص ١٣.

(٤٧) העם، אחד: שנוי הערכין، כל כתבי אחד העם، הוצאת דביר، תל-אביב، 1975، עמ 156.

(٤٨) אלתרמן، נתן: הטור השביעי، ספר ראשון، הוצאת הקבוץ המאוחד، תל-אביב، 1980، עמ 9.

(٤٩) אלתרמן، נתן: פזמונים ושירי זמר، כרך 1، הקיבוץ המאוחד، תל אביב، 1976، עמ" 85.

(٥٠) نصر الله، يوسف: الكنز المرصود في قواعد التلمود، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص ٧٣.

(٥١) العكش، د.سعيد عبد السلام: الفكر اليهودي والبحث عن الجذور- دراسة في الأدب العبري الحديث، مكتبة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥١.

(٥٢) القشطيني، خالد: الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، المصدر السابق، ص ٧٢.

(٥٣) عبد الرحمن، أسعد: المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢-١٩٨٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٧-٢٩.

(٥٤) ذا النون، عبد الحكيم: تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤، ص٩.

(٥٥) -www.google.com.Eg/search.client=Firefox–a@rills=org.net.

(٥٦) دانزوال، ألبرتو: اليهودية والغير يهودية في منظار اليهودية، ترجمة ماري شهرستان، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط١١، ٢٠٠٤، ص٢٠٤- ٢٠٥.

(٥٧) العكش، د.سعيد عبد السلام: مفاهيم عنصرية في الأدب العبري الحديث، المصدر السابق، ص٦٧.

(٥٨) يوسف حاييم برينر: ولد سنة ١٨٨١م في روسيا، وهاجر الى فلسطين سنة ١٩٠٨، وانتهت حياته على يد الثوار العرب أثناء اشتباكات بينهم وبين المستوطنين اليهود سنة ١٩٢١، وهو أحد أهم رواد الصهيونية العمالية، ساهم في تأسيس "الهستدروت" في فلسطين، نشر أول مجموعاته القصصية سنة ١٩١٠، والتي هاجم فيها صفات اليهود في فترة الشتات اليهودي "الدياسبورا"، واستخدم في أعماله الأدبية اللغة العبرية الحديثة، وطعمها بكثير من الجمل اليديشية والألمانية والروسية، تأثر بكتابات "أحد هاعام" حول القومية اليهودية، له مقالات عن كبار الأدباء العربيين، بالإضافة الى كتاب نقد الأدب العبري الحديث بعنوان "صورة المهاجرين في الأدب" ١٩١٣-١٩١٩، توجد جائزة أدبية في إسرائيل تمنح على الأعمال الأدبية والقصصية باسمه "جائزة يوسف حييم برينر للأدب". للمزيد انظر (الشامي، د.رشاد عبد الله: عجز النصر الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٢٢-٢٢٣).

(٥٩) الشامي، د.رشاد عبد الله: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٦، ص٣٠.

(٦٠) أي إنّ اليهودي غير مكلف بنشر دينه، والتبشير به بين الأمم الأخرى، وهي من محاسن الصدف، والحمد لله، وإلا لصارت فتنة عظيمة بين الناس؛ بسبب مكر اليهود، ودهائهم. (الباحث).

(٦١) ظاظا، د.حسن: أبحاث في الفكر اليهودي، المصدر السابق، ص١٠٩-١١٠.

(٦٢) بيالِيك، חיים נחמן: כל כתבי חיים נחמן ביאליק، הוצאת דביר، תל אביב، תשל"א، עמ" 146.

(٦٣) –https://library.osu.edu/projects/Hebrew–lexicon/٠١٣٩٣.Ph.

(٦٤) זלמן שניאור، زلمان شنيؤر: شاعر ولد في أوكرانيا سنة ١٨٨٧، تعلم العبرية وهو في السابعة من عمره، ثم بدأ في كتابة الشعر وهو في الثالثة عشر من عمره، درس العلوم الدينية في "اليشيفا"، كان قريباً من أغلب الادباء اليهود في زمانه من أمثال "مندلي موخير سفاريم"، و"حاييم نحمان بياليك"، و"ليلينبلوم"، أكمل كتابة أول ديوان شعري له سنة ١٩٠١، أسس مع بعض الأدباء دار نشر "הספר" "الكتاب"، هاجر الى فلسطين سنة ١٩٢٥، حاصل على العديد من الجوائز الأدبية، أهم أعماله: "ווילנה" "فيلنا"، و"גשרים" "جسور"، و"חזיונות" "نبوءات"، و"פרקי יער" "فصول غابة"، توفي سنة ١٩٥٩. للمزيد انظر(جبة، د.عبد الخالق عبدالله: مضامين الأيديولوجية الصهيونية للصراع العربي الإسرائيلي، دار النشر والتوزيع بلودان، القاهرة، ٢٠٠٥،ص ١٧٥).

(٦٥)جبة، د.عبد الخالق عبدالله: مضامين الأيديولوجية الصهيونية للصراع العربي الإسرائيلي، المصدر السابق، ص١٥٧-١٥٨.

(٦٦) –http://Library.0su.Edu./projects/Hebrew––lexicon/00920.Php.

(٦٧) –http://Library.0su.Edu./projects/Hebrew––lexicon/00920.Php.

([٦٨])جبة، د.عبد الخالق عبدالله: الأدب العبري الحديث- تحليل ونقد الأعمال الأدبية لـ: يعقوب فيخمان، وش.شالوم، وناتان الترمان، مطابع جامعة المنوفية، مصر، ٢٠١٣، ص ٥٩.

([٦٩]) بيرتس سمولنسكين: كاتب ولد سنة ١٨٤٢م في روسيا، وتوفي فيها سنة ١٨٨٥م، وكان أحد رواد الهسكالا، أصدر مجلة "الفجر"، ومن أهم أعماله رواية "الضال في دروب الحياة" صدرت في أربعة أجزاء، وكان يهلجم في أغلب أعماله المتعصبين الدينيين، ويؤيد ما سُمي بـ "القومية اليهودية" التي لا ترتبط بالأرض وإنما ترتبط بالتوراة. للمزيد انظر:(أبو خضرة، د.زين العابدين محمود: تاريخ الأدب العبري الحديث، مطابع جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٤-٧٧).

([٧٠]) الشامي، د. رشاد عبد الله: تفكيك الصهيونية في الادب الاسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٢.

([٧١])علي، د.فؤاد حسنين: الأدب اليهودي المعاصر، المصدر السابق، ص ٥٧.

([٧٢]) الشامي، د.رشاد عبد الله: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، المصدر السابق، ص٢٩.

([٧٣]) ביאליק، חיים נחמן: כל שירי ח.נ.ביאליק، הוצאת דביר، תל אביב، תש"ד، עמ" 23.

([٧٤]) שאול טישרנחבסקי شاؤول تشرنحوفسكي: من أبرز الشعراء اليهود، ولد في بروسيا سنة ١٨٧٥، يصفه النقاد في منزلة لا تقل عن "حاييم بياليك"، درس الطب، وتعلم اللغات الحديثة، تغنى بجمال الطبيعة في الكثير من أشعاره، هاجر الى فلسطين سنة ١٩٣٢، عبر شعره عن الاتجاه الدنيوي للحركة القومية اليهودية، وعن التحرر من حياة الجيتو، والثورة ضد مفاهيم التشدد في الدين والسلوك في التقاليد اليهودية، توفي في فلسطين عام ١٩٤٣، وله الكثير من دواوين الشعر. للمزيد انظر (الشاذلي، د.جمال عبد السميع، د.نجلاء رأفت سالم: الشعر العبري الحديث مراحله وقضاياه، الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٢).

([٧٥]) טשרניחובסקי، שאול: שירי שאול טשרניחובסקי، הוצאת דביר، תל אביב، תשכ"ח، עמ" 19.

([٧٦]) יהודה לב גורדון، يهودا ليف جوردون: أحد أبرز الأدباء اليهود، الذين ظهروا في فترة الهسكالا، ولد في مدينة "فيلنا" في روسيا سنة ١٨٣٠، وتلقى فيها تعليماً يهودياً تقليدياً، ثم تعلم اللغة الروسية وأتقنها، وفي سنة ١٨٥٢ عمل مدرساً، وفي سنة ١٨٥٦ أنهى قصيدته "דוד וברזלי" "داود وبرزيلاي"، وأصدر في نفس السنة كتباه الأول "אהבת דוד ומיכל" "حب داود وميخل"، وفي سنة ١٨٥٩ نشر كتابه الثاني "משלי יהודה" "أمثال يهودا"، وفي سنة ١٨٦٥ نشر ديوانه الشعري "שירי יהודה" "أشعار يهوذا"، الذي يضم أثنين من أشهر قصائده وهي "דרך בת עמי" "طريق أبنة شعبي"، و"הקיצה עמי" "إستيقظ يا شعبي"، وفي سنة ١٨٩٢ أنتقل الى مدينة بطرسبرج، ومات فيها في نفس السنة. للمزيد انظر (أبو خضرة، د.زين العابدين محمود: تاريخ الأدب العبري الحديث، المصدر السابق، ص ٤٦-٤٩).

([٧٧]) علي، د.فؤاد حسنين: الأدب اليهودي المعاصر، المصدر السابق، ص٦٤.

([٧٨]) عبد الفتاح، نازك ابراهيم: الشعر العبري الحديث اغراضه وصوره، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص٦١.

([٧٩]) الشامي، د.رشاد عبد الله: بدايات الادب العبري الحديث-أدب حركة التنوير اليهودية الهسكالا، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨، ص٥-٦.

([٨٠]) أبو خضرة، د.زين العابدين محمود: تاريخ الأدب العبري الحديث، المصدر السابق، ص ٤٧.

([٨١]) الشاذلي، د.جمال عبد السميع، د.نجلاء رأفت سالم: الشعر العبري الحديث مراحله وقضاياه، المصدر السابق، ص٢٢٦-٢٢٨.

([٨٢]) פרוס، שמואל אטינגר: הרעיון הציוני והקמת מדינת ישראל، ירושליים، הוצאת ספרים בע"מ، 1985، א"، עמ 13.

([٨٣]) حاييم هزاز: أديب يهودي ولد في سنة ١٨٩٨ في مدينة كييف في أوكرانيا، وتوفي في فلسطين سنة ١٩٧٣، بدأ انتاجه الأدبي في باكورة شبابه ومن أهم نتاجاته الأدبية قصة "مع مطلع الشمس" سنة ١٩١٨، و"مستوطنة في غابة"، و"الساكنة في الحدائق"، و"ياعيش"، و"أبواب نحاسية".

([٨٤]) הזז، חיים: יעיש، חלק א، הוצאת עם עובד، תל אביב، 1968، עמ" 24.

([٨٥]) السعد، جودت: أوهام التاريخ اليهودي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص ٢٦١.

([٨٦]) ברוך קורצווייל، باروخ قورتسفايل: واحد من أبرز وأهم النقاد العبريين، ولد في تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٠٧، وهاجر الى فلسطين سنة ١٩٣٩، كان يركز على الحفاظ على التراث اليهودي والقيم الدينية اليهودية، وكان يرى أن الأديب إذا سلك ذلك في كتاباته فقد سلك درب التقدم والرقي، من أهم أعماله "مقالات حول فكرة البعث والموت في قصيدة بياليك" وكتابه "ספרותנו החדשה-המשך או מהפכה"، "أدبنا الحديث استمرار أم ثورة". للمزيد انظر (أبو خضرة، د.زين العابدين محمود: تاريخ الأدب العبري الحديث، المصدر السابق، ص ٣١٤).

([٨٧]) קורצווייל، ברוך: ספרותנו החדשה-המשך או מהפכה؟، הוצאת שוקן، ירושלים ותל– אביב، תשכ"ה، עמ 105-104.

([٨٨]) ديورانت، وول: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٤٩، ص٣٢٢.

([٨٩]) ديورانت، وول: قصة الحضارة، المصدر السابق، ص٣٢٨.

([٩٠]) غورانوف، ستيفان: العنصرية مبدأ أساسي في الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٤.

([٩١]) سليمان، د. علي: العنف في الادب الصهيوني، المصدر السابق، ص ٣٠.

([٩٢]) شيحة، ميشيل : جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في اسرائيل، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد ٢، ٢٠٠٣، ص ٣٩٣.

([٩٣]) جارودي، روجيه : مقولة الحق التاريخي – دراسة في الصهيونية السياسية، ترجمة نزيه الشوفي، دار المنارة للنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٠-٣٢.

([٩٤]) صالح، د.محسن محمد: أرض فلسطين وشعبها، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، الفجر للنشر، كوالالمبور، ماليزيا، ٢٠٠٢، ص١١٠-١١١.

([٩٥]) جارودي، روجيه : مقولة الحق التاريخي – دراسة في الصهيونية السياسية، المصدر السابق، ص ٧٠-٧٢.

([٩٦]) تلمي، افرايم ومناحيم ، معجم المصطلحات الصهيونية ، المصدر السابق، ص٢٧.

([٩٧]) المسيري، د.محمد عبد الوهاب: من هو اليهودي، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٠٧.

([٩٨]) العياري، صالح: في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص ٢٣٨.

([٩٩]) المسيري، د.محمد عبد الوهاب: من هو اليهودي، المصدر السابق، ص ١٠٧.

([١٠٠]) العياري، صالح: في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

([١٠١]) **יצחק ליאור**، إسحاق لاؤر: ولد سنة ١٩٤٨، يعيش في أحدى المستوطنات الزراعية، من أبرز الشعراء المعاصرين في إسرائيل، درس الأدب والمسرح في جامعة تل أبيب، ويعمل استاذاً للسينما والمسرح في الجامعة العبرية في القدس، كبت العديد من الدواوين الشعرية والأعمال القصصية، من أهمها: "המשך בדרך" "مواصلة السير على الطريق"، و"מחוץ לגדר" "خارج السور"، و"אפרים חוזר לצבא שנית" "أفرايم يعود الى الجيش ثانية". للمزيد انظر(جبة، د.عبد الخالق عبدالله: مضامين الأيديولوجية الصهيونية للصراع العربي الإسرائيلي، دار النشر والتوزيع بلودان، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٧٧-١٧٨).

([١٠٢]) צור، ראובן: עיון בשירי יצחק ליאור- הסגנון והדמיון، הוצאת אוניברסיטת תל אביב והקיבוץ המאוחד، תל אביב، 1983، עמ" 178.